

وقف أمام « كور » واهتز لها فقال .

بمهمام

على محمود طه^(١)

ها هنا يشمر الجاد ويوحى لمن شمر .
ولولا وفاة طيبت به الفطرة ، وحب لبني النيل الأمانة ؟
لكن « الملاح » الرحال إلى أحضان هذا الشاطئ ، بحرسه
بمينيه ، وبطربه بموسيقاه .

آه لولا أحبة زلوا شاطئ النهر
ورفات مطهر وكريم من السير
لتنبت شرفة لي في هذه الحجر
أقطع الممر عندها غير وان عن النظر
فلقد فاز من رأى ولقد عاش من ظفر

ولقد عاش حياته شاعرا غير الشعراء . فلم يتواضع لجنى
من عبقر يستجديه القصيد ، وإنما راح يستهبط الوحي من ملائكة
السما ليندفع بمد ذلك شاديا . ينظم الحس أغاني ، ويرسل بالجمال
أهازيج ، وأنه بذلك للخلاب باهر ينغم الاتعاق بالإعجاب ،
ويشتمل المواطف بالطرب .

وسماء للشاعر الفذ منها يستقى الشعر وحيه وبيانه
وأنا الشاعر الذي أفتن بالحس ن وأذكت يد الحياة اقتنانه
فبوركت يا على إنك فنان

ضارب في الخيال ملق عنانه ملك الوحي قلبه واسانه

— ٢ —

ومن خلف عشرة عقود هبت على الوادي الأمين ، أنسام
الجد ، تحمل في أحنائها ريح « إبراهيم » ، وعطر ذكراه ؟
فوجدت بين جنبي الشاعر رئة مفتوحة تفيض بالحس ، وروحا
تنثني للنبوغ في القتال . كما تنثني للتفوق في الجمال ، ولنطرق
صامتين لنسمع .

في كفك السيف فاحم الأهل والدارا
وادفع به الظلم ، واضرب حيثما دارا
اضرب بسيفك لا تسمع لمعتذر
لم يترك البني للباغين أعدارا
لم يفهموا في قراب السلم مطلقه
بقادم عارى الحدين بتارا

لقد مضى الزمان بنا بخب ، حتى صرنا على بعد عام من
« على محمود طه » .. ولكننا ما زلنا نرى الزورق سابجا . مبسوط
الشراع ، يجرى على كف الموج ، في أنهار الخلود ؛ لا يطويه
أفق ، ولا يحجبه بمد .

— ١ —

كان « على طه » فردا آناه الله الرهافة في الحس ، والحدة
في الشعور ، والرقّة في الذوق ؛ فانطلق جوليا في الآفاق يستعرض
آيات الله في جمال الطبيعة ومفاتها .
معمدى هذه الروح وأست اذى ربيع الطبيعة الفينانه

(١) مات الشاعر يوم ١٧ نوفمبر ١٩٤٩ م .

واستعلى كل صعب ، حتى ألان الدنيا لإرادته . فكانت طوع أمره ،
وراض بدنه لنفسه ، وروض جوارحه للعالي ، فكان صاحب
السيادة .

ومفتاح هذا النظر أنه اتخذ من الجمل مطية لكل غرض ؛
فأصبحت الحياة بسيطة لا تعقيد فيها ، وصار من المؤلف المعروف
عنه أن يقول « فلان يتخذ الليل جملا » .

وإنه ليجتمع كرم ذلك الذي يدرك فلسفة الحياة في كلمتين هما :
« الناية والوسيلة » . يدرك حقيقة البطل في صورة فيها الجسم
الجميل ، والنفس الكاملة ، والفرص السامى .

ولا شك أن الألماط العربية في هذا القرض الذي أبدعناه
قد أوفت على الناية ، واختارت المسلك القريب ، فزاحمت بذلك
أصحاب الحضارة ، وأثبتت أصالتها وعراقتها كلما تعرضت للمقاييس
النزيهة مما نعرفه ، ولم نعرفه بمد .

محمد محمود زيتون

« ممنوع الغل والنفر والترجمة إلا بإذن الرسالة »